التربية الصالحة في حياة الأبناء سبيل لصلاح المجتمع

الحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي يَصطَفِي مِنَ الأَيَّامِ وَالشُّهُورِ مَا يَشَاءُ وَيَختَارُ، وَيَختَصُّ مِنَ الأَزمَنَةِ بِالفَضَائِلِ ما يُرِيدُ؛ رَحمَةً مِنهُ وَتَذكِرَةً لِأُولِي الأَبصَارِ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ العَزِيزُ الغَفَّارُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ المُصطَفَى المَختَارُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ مَا تَعَاقَبَ اللَّيلُ وَالنَّهَارُ

أمّا بَعدُ فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ التَّقوَى، وَاعلَمُوا أَن الْأَبْنَاءَ مِنْ بَنِينَ وَبَنَاتٍ أَمَانَةٌ عَظِيمَةٌ فِي أَعْنَاقِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَمَسْؤُولِيَّةٌ شَرعِيَّةٌ سَائِلٌ اللَّهُ عَنْهَا كُلَّ رَاعٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا** [التحريم] وَعَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قَالَ: **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ] وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ، حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ، حَتَّى يُسْأَل الرَّجُلُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ** [حديث صحيح]

فَسَيُسْأَلُ الرَّجُلُ عَنْ رِعَايَةِ بَيْتِهِ، وَتُسْأَلُ المَرْأَةُ عَنْ حِفْظِ بَيْتِهَا، وَالسَّائِلُ سُبْحَانَهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا تُؤَدَّى بِهِ هَذِهِ الْأَمَانَةُ أَنْ نُعَلِّمَ أَبْنَاءَنَا دِينَهُمْ، وَأَنْ نَرْبِطَهُمْ بِالْقُرْآنِ، وَأَنْ نُرَبِّيَهُمْ عَلَى مَحَبَّةِ لُغَتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ كِتَابَهُ عَرَبِيًّا، قَالَ سُبْحَانَهُ: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** [يوسف] وَقَالَ: **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** [الشعراء] فَلَا يُفْهَمُ الْقُرْآنُ بِغَيْرِ لِسَانِهِ، وَتَعَلُّمُ الْعَرَبِيَّةِ سَبِيلٌ إِلَى فَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهْمًا صَحِيحًا ويروى أن عمر رضي الله عنه قال: **تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم** وَإِنَّ مِنَ الْأَخْطَاءِ الَّتِي يَنْبَغِي التَّنَبُّهُ لَهَا أَنَّ بَعْضَ الْآبَاءِ يُفْنُونَ سنِينَ فِي تَعْلِيمِ أَبْنَائِهِمُ اللُّغَاتِ الْأَجْنَبِيَّةَ، وَلَا يَجْعَلُونَ لِلْعَرَبِيَّةِ إِلَّا وَقْتًا يَسِيرًا، ثُمَّ يَتعَجَّبُونَ إِذَا كَبِرَ الْوَلَدُ وَهُوَ لَا يُحسِنُ نُطْقَهَا وَلَا فَهْمَهَا! وَلَيْسَ هَذَا مِنَّا دَعْوَةً إِلَى مَنْعِ تعَلُّمِ اللُّغَاتِ الْأُخْرَى، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ نَفْعًا لِلدُّنْيَا لَا حَرَجَ فِيهِ وَلَكِنَّ الْمَحْذورَ أَنْ تَكُونَ عَلَى حِسَابِ لُغَةِ الْقُرْآنِ، فَكَيْفَ يَرْضَى مُسْلِمٌ أَنْ يُتْقِنَ ابْنُهُ لِسانَ الْأَعَاجِمِ وَيَعجِزَ عَنْ تِلَاوَةِ كِتَابِ رَبِّهِ أَوْ فَهْمِ مَعَانِيهِ؟

فَتَعْلِيمُ الْعَرَبِيَّةِ لَيْسَ حُرُوفًا تُحْفَظُ، بَلْ هُوَ غَرْسٌ لِلْهَوِيَّةِ، وَرَبْطٌ بِالدِّينِ وَالتَّارِيخِ وَالْأُمَّةِ

عِبَادَ اللَّهِ

وَاعْلَمُوا أَنَّ صَلَاحَ الْأَبْنَاءِ مِنْ أَعْظَمِ التِعَمِ، فَهُوَ قُرَّةُ عَيْنِ الْوَالِدَيْنِ ، وَسَبَبُ استِمْرَارِ الْأَجْرِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَوَسِيلَةٌ إِلَى رِفْعَةِ الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ قَالَ تَعَالَى: **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** [الفرقان] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ** [رواه مسلم] وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِنَّ اللَّهَ عَزَ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَارَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ** [رواه أحمد وصححه الألباني]

وَكَمَا أَنَّ فِي صَلَاحِهِمْ هَذَا الْخَيْرَ الْعَظِيمَ، فَإِنَّ فِي إِهْمَالِهِمْ وَالتَّفْرِيطِ فِي تَرْبِيَتِهِمْ أَعْظَمَ أَسْبَابِ الْحَسْرَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ** [متفق عليه]

فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ حُقُوقِ الْأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ تَرْبِيَتَهُمْ عَلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَتَعْظِيمِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ، وَغَرْسِ التَّوْحِيدِ فِي نُفُوسِهِمْ مُنْذُ الصِّغَرِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى الْفَرَائِضِ، وَالِالْتِزَامِ بِآدَابِ الْإِسْلَامِ، والِاقْتِدَاءِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَالِحِينَ، قَالَ تَعَالَى: **وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**

وَمِنْ ضَرُورَاتِ التَّرْبِيَةِ أَيْضًا حِمَايَتُهُمْ مِنْ رِفَاقِ السُّوءِ فِي الْوَاقِعِ وَفِي وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ، وَتَحْذِيرُهُمْ مِنَ الْمَوَاقِعِ الْمُدَمِّرَةِ لِلْأَخْلَاقِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْإِلْحَادِ وَالِانْحِلَالِ، فَإِنَّ الصُحْبَةَ عَظِيمَةُ الْأَثَرِ فِي تَشْكِيلِ الْفِكْرِ وَتَوْجِيهِ السُّلُوكِ، وَكَمْ مِنْ نَادِمٍ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى صَدَاقَةِ سُوءٍ، يَقُولُ: **يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي** [الفرقان]

عِبَادَ اللَّهِ

وَإِنَّ مِن أَعْظَمِ أَسْبَابِ صَلَاحِ الْأَبْنَاءِ اللُّجُوءَ إِلَى اللَّهِ والْإِلْحَاحَ عَلَيْهِ بِالدُّعَاءِ، كَمَا دعَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ** وَعَلَّمَ اللَّهُ عَبْدَهُ أَنْ يَقُولَ: **رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** [الأحقاف]

وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ يَتَوَاصَوْنَ بِهَذَا الدُّعَاءِ، فَقَدِ اشْتَكَى أَبُو مَعْشَرٍ ابْنَهُ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَالَ لَهُ: اسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَتَلَاهَا عَلَيْهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ رِعَايَةَ الْأَبْنَاءِ وَحِفْظَهُمْ مِنَ الِانْحِرَافِ مَسْؤُولِيَّةٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الْأُسْرَةِ وَالْمَسْجِدِ وَسَائِرِ مُؤَسَّسَاتِ الْمُجْتَمَعِ، امْتِثَالًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** وَحِينَ تُقَصِّرُ الْجِهَاتُ فِي مَسْؤُولِيَّتِهَا ظَهَرَتْ آثَارُ ذَلِكَ التَّقْصِيرِ فِي الِانْحِرَافِ الْأَخْلَاقِيِّ، وَالضَّلَالِ الْفِكْرِيِّ، وَالتَّفَكُّكِ الْأُسْرِيِّ فَإِنَّ فِي الْإِنْعَامِ بِالْأَوْلَادِ ابْتِلَاءً وَاخْتِبَارًا قَالَ تَعَالَى: **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ** فَمَن قَامَ عَلَى أَوْلَادِهِ وَرَعَى هَذِهِ الْأَمَانَةَ وَأَدَّى حَقَّهَا فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَمَنْ قَصَّرَ كَانَتْ عَلَيْهِ وَبَالًا وَحَسْرَةً وَنِدَامَةً

وَتَعْظُمُ هَذِهِ الْمَسْؤُولِيَّةُ فِي زَمَانِنَا هَذَا الَّذِي أَحَاطَتْ فِيهِ الْفِتَنُ بِأَبْنَائِنَا وَبَنَاتِنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَطَالَتْهُمْ سِهَامُ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَعَلَى الْآبَاءِ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِي بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ، وَأَنْ يَحْفَظُوهُمْ وَيَقُوهُمْ مَوَاطِنَ الْفَسَادِ وَالشَّهَوَاتِ، لَا أَنْ يَجْلِبُوهَا إِلَيْهِمْ فِي بُيُوتِهِمْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

عِبَادَ اللَّهِ

اتَّقُوا اللَّهَ فِي الْأَوْلَادِ، فَهُمْ أَمَانَةٌ فِي الْأَعْنَاقِ، وَرَعِيَّةٌ يُسْأَلُ عَنْهَا يَوْمَ التَّنَادِ، عَلِّمُوهُمْ لُغَةَ القُرْآنِ، يَفْهَمُوا بِهَا الْكِتَابَ وَالْبَيَانَ، وَلَا تَشْغَلْهُمُ اللُّغَاتُ عَنْ لِسَانِ الْإِيمَانِ ، فَصَلَاحُ الْبَنِينَ قُرَّةُ عَيْنٍ وَذُخْرٌ بَعْدَ الْفَنَاءِ، وَفَسَادُهُمْ حَسْرَةٌ وَنَدَمٌ يَوْمَ اللِّقَاءِ

ربُّوهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ، وَجَنِّبُوهُمْ رِفَاقَ السُّوءِ وَمَوَاطِنَ الْإِضَاعَةِ، وَأَكْثِرُوا لَهُمْ مِنَ الدُّعاءِ، فَإِنَّهُ سِلَاحُ الْآبَاءِ

وَاعْلَمُوا أَنَّ حِفْظَ الْأَبْنَاءِ أَمَانَةُ الْبَيْتِ وَالمَسْجِدِ وَالْمُجْتَمَعِ جَمِيعًا فَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

خطبة الجمعة ليوم 82 غشت 2026 م